الصباح الإسلامية
09
العدد 2378 - السنة الثامنة
الأحد 21 ربيع الآخر 1437 - الموافق 31 يناير 2016
Sunday 31 January 2016 - No.2378 - 8th Year
إعداد : ياسر السيد

حسن الظن بالناس

هناك أناس في مجتمعنا لا يثقون بأحد ، انا اعلم ان السبب يعود الى الاشخاص الذين تعاملوا معهم لكن يجب ان نعلم ايضا ان الناس ليسو مثل بعضهم فلذلك يجب ان نحسن الظن بالناس ، احسن الظن بالناس كانهم كلهم خير ... واعتمد على نفسك كانه لا خير في الناس... فإن حسن الظن بالله تعالى ركيزة مهمة من ركائز الإيمان، وأصل عظيم من أصول العقيدة الإسلامية،أصل من حققه واعتصم به نال السعادة في الدنيا وكان من أهل النجاة في الأخرة، ومن اخل به او فقده كان من أهل شقاوة في الدنيا ومن أهل الخسارة في الآخرة، وإن حسن الظن بالله مبدأ كل خير يكسبه العبد كما أن سوء الظن بالله مبدأ كل شر يكتسبه، وهو أمر أوجبه الله تعالى علينا ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم :« لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» (رواه مسلم)، أي وهو يصدق وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالعفو والمغفرة ويرجو أن يكون منهم . 1.ومن معنى حسن الظن بالله تعالى –ومن دلائل إيجابه أيضا– إثبات صفات الكمال التي لا نقص فيها لله عز وجل، كالعلم الذي يشمل جميع المعلومات ، القدرة على كل شيء، والإرادة المطلقة التي لا يعارضها شيء، والغنى المطلق بحيث لا يحتاج إلى غيره، إلى غير ذلك من صفات الجمال والجلال. 2.ومن معناه أيضا أن نحمل أفعاله جل حلاله وأحكامه على المحامل الحسنة، وأن يُظن فيها الخير بكل حال، وأن لا يُطعن فيها بوجه من الوجوه ولا يُعترض عليها، وإن مما هو ظاهر علمه في الناس وجوب حسن الظن بالمسلمين، حيث إذا سمع أحدهم يقول قولا يحتمل الخير والشر، أو يفعل فعلا من هذا الجنس إلا وجدت أهل الخير والإيمان يقولون : لابد أن نحمله على الخير ، لأنه ينبغي حسن الظن بالمسلم ، والله تعالى يقول :(إن بعض الظن إثم) (الحجرات 12) فإذا كان هذا مع المخلوق الناقص المذنب واجباً، الا فلتعلموا أنه مع الخالق جل وعلا أوجب. 3.قد جعل المولى عز وجل سوء الظن به سبب ضلال المشركين فقال مخاطبا لهم :(وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (فصلت:23)، المقصود ظنكم السيئ من أن الله تعالى لا يطلع على أعمالكم هو الذي أهلككم ، وجعل سبحانه سوء الظن به من خصال المنافقين والمشركين فقال :(وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (الفتح:6) وقال جل جلاله:(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام:91) المعنى ما عظموه حق تعظيمه لما قالوا أن الله تعالى يترك عباده سدى وهملا لا يهديهم إلى سبيله، ولا يقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب. –4 وقد علمنا ربنا سبحانه أن نرد كل خير إليه، وإذا حدث شر رددناه إلى ذنوبنا وتقصيرنا، فقال جل شأنه لنبيه صلى الله عليه وسلم :(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (النساء:79) مع انه قد قال قبلها :(كل من عند الله) . فإذا جاء الخير نسبناه إلى الله تعالى لأنه هو خالقه والمتفضل به على عباده والموفق لهم إليه، وإذا جاء الشر لم ننسبه إليه وإن كان هو خالقه، بل ينسب إلى العبد المتسبب فيه تعظيما لله تعالى وإجلالا له وإعمالا لحسن الظن به. من آثار حسن الظن بالله تعالى وبعد هذا نقول إن إسلام العبد لله لا يمكن أن يكون إسلاما صحيحا تاما من دون حسن الظن بالله تعالى، ويظهر ذلك في كون كثير من العبادات الواجبة متوقف على وجود هذا الأصل منها: إخلاص الدعاء لله تعالى فإنه مما هو معلوم أن « الدعاء عبادة » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي عبادة واجبة لقوله تعالى :(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر:60) فسمى من أبى دعائه مستكبرا وتوعده بدخول النار، ولولا حسن ظن العبد بربه لما رفع يديه إليه، فهو حال دعائه يعتقد أن الله يسمعه وإن أسر، وعالم بحاله وإن خفي، وقادر على أن يجيبه ويفرج كربه وإن عجز عن ذلك الخلق جميعا، وقد جاء في الحديث :(ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة) (رواه الترمذي)، ومن معنى اليقين أن يعتقد بأن الله قد سمع الدعاء وأنه مجيب الدعاء، فإن حدث أن تأخرت الإجابة لم يستعجلها العبد لأن الرسول قد أخبرنا أنه «يستجاب لأحدنا ما لم يستعجل» (رواه مسلم).

ثم إن من لم يستعجلها وحقق أسباب الإجابة وشروطها ثم لم يستجب له، فهو يعلم أنه وقع في مانع من موانع الاستجابة، وعلى كل حال فهو يحقق هذه العبادة على الوجه الذي أمر به. التوكل على الله تعالى وكذلك من دون حسن الظن بالله تعالى لا يمكن للعبد أن يُحصّل عبادة التوكل عليه، والله تعالى يقول:(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (المائدة 23) فجعل التوكل شرطا في الإيمان، ولا يمكن لعبد أن يتوكل على من يسيء الظن به، والتوكل يقوم على ركنين أساسيين الثقة بالله والاعتماد عليه، والناس في معاملتهم الدنيوية لا يكلفون بقضاء حوائجهم والقيام على شؤونهم إلا على من عرفوهم بالثقة والأمانة والحرص، فالاعتماد عليهم كان فرع حسن الظن بهم . فكذلك التوكل على الله لا يكون إلا فرعا عن إحسان الظن به، فلابد أن نعتقد أننا أودعنا قضايانا عند من لا يضيعها قال تعالى :(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق:3) أي فهو يكفيه ويغنيه عن غيره . التوبة والإنابة إلى الله تعالى واجبة على المؤمنين جميعا قال تعالى :(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور:31)، ولا يتصور حصول التوبة من العبد المذنب الخطاء وحسن الظن بالله تعالى غائب غير حاضر، فالعبد الذي يستولي عليه القنوط ويأس من رحمة الله ولا يرجو عفوه لا يمكنه أن يتوب بتاتا ، وإنما الذي ييسر له التوبة والإنابة إلى الله تعالى أن يتذكر قوله تعالى :(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر:53) وأن الله يفرح بتوبة عباده ، وغير ذلك مما يجعله يطمئن ويدرك أن لا مفر من الله إلا إليه فيسارع بالفرار إليه . الانقياد والإذعان لأحكام الله تعالى ومن الأمور الناتجة عن حسن الظن بالله تعالى الاستسلام لأحكامه وشرائع دينه جملة وتفصيلا، وانعدام الاعتراض عليها وعدم الرضا بها من القلوب فضلا عن أن يظهر ذلك على الجوارح، لأن المسلم يعتقد أن الله أحل لعباده الطيبات التي تنفعهم وحرم عليهم الخبائث التي تضر بهم، ولم يأمرهم بشيء إلا وفيه تحقيق مصلحة لهم عاجلة في الدنيا أو آجلة في الأخرى، فالله تبارك وتعالى غني عنا وعن عبادتنا له، يقول سبحانه وتعالى في الحديث القدسي الطويل الذي خرجه مسلم :(يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

من قصص الأنبياء

معجزة يحيى عليه السلام

كان النّبيّ الصّالح زكريا عليه السّلام يحبّ الأطفال والذّريّة، فقد حرم لسنوات من ذلك، فمراته عاقرٌ لا تلد وهو شيخٌ كبيرٌ، وعندما نذرت امراة عمران ما في بطنها لله سبحانه فولدت مريم، تشوّق زكريا عليه السّلام لكفالة هذه البنت فقد كان زوج أختها الكبرى، فهو محتاجٌ لضمّ هذه البنت إليه وأن تكون تحت رعايته وحمايته، فقد كان قلبه مليءً بالحنان والعطف الذي لم يجد له مكانا يفرغه فيه لأنّه لم يرزق بولد، فكفل زكريا مريم وكانت نعم الخادمة لبيت الله، قائمة صائمةً تعبد الله آناء اللّيل والنّهار، وقد كفاها الله هم التّفكير بالمأدبة والطّعام والشّراب فكان يأتيها رزقها عند محرابها إكراما من عند الله لها، فالله هو الذي يرزق من يشاء بغير بحساب، وعندما رأى سيّدنا زكريا تلك الكرامات واحسّ بفيض الكرم الرّبّاني مدّ يديه ليدعو ربّه بأن يهبه ذرية طيبة ترث ما عنده من العلم والنبوّة فاستجاب له ربّه ذلك فأكرمه بغلام اسمه يحيى، و قد جعل الله سبحانه هذا الطّفل مميزا عن اقرانه، فهو عطيّة الله سبحانه وهو ثمرة استجابة الدّعاء من نبيّ صالحٍ صبر كثيراً حتى نالها، فكان يحيى معجزةً في ولادته من أب شيخ كبير وأمّ عاقرٍ لا تلد، وكذلك قد تكلّم الله عنه بأنّه لم يكنْ له سميًا أي شبيه، فقد أمر سيّدنا يحيى عليه السّلام بأن يتمسّك بكتاب الله التّوراة وأن يأخذها بقوة، وقد آتاه الله الحكم صبيا فكان لا ينشغل كغيره من الفتيان باللعب بل كان همّه الانعكاف على دراسة التّوراة ودعوة النّاس إلى دين الله والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، و قد كان في عصر سيّدنا يحيى عليه السّلام ملكٌ فاجرٌ لا يخاف الله، وقد حدث أن رغب هذا الملك بأن يتزوّج بنت أخيه وكان هذا الأمر مخالف في شريعتهم كما في كلّ الشّرائع التي انزلها الله، فذهبوا إلى يحيى ليجيز لهم ذلك بفتوىً باطلة، فأبى سيّدنا يحيى ذلك فظلّ الملك حاقدًا عليه حتى حانت له الفرصة في أحد اللّيالي وقد كانت بنت أخيه وهي راقصة فاجرة تغنّي وتحيي اللّيل بالرّقص والغناء، فإذا بالملك يراودها عن نفسها فتأبى إلّا أن يكون ذلك بعد الزّواج وتطلب رأس يحيى مهرا لها، فيلبّي الملك الفاجر طلبها لتقطع الرّأس الطّاهرة وتقدّم للبغيّ على طبقٍ من ذهب.

من هو النبي إبراهيم .. عليه السلام؟

إبراهيم عليه السلام، هو إبراهيم بن تارح، بعدّ العاشر في الشجرة التي تنتسب لسيدنا نوح عليه السلام، وهو أحد ثلاثة أبناء لتارح، شقيق ناحور وهاران، وعم سيدنا لوط عليه السلام، تشير بعض الروايات إلى أنّ إبراهيم عليه السلام ولد في حرّان، وهي تقع في الجنوب الشرقي لتركيا، لكن أغلب الدراسات تشير إلى أنه قد ولد في أور بالقرب من بابل في عهد نمرود بن كنعان، تزوّج سيدنا إبراهيم ثلاث مرات، زوجاته هن سارة، هاجر، قطورة، واقترن بسارة في أور، وكانت تصغره بعشرة أعوام، وأنجبت له إسحاق حيث كانت تبلغ من العمر 89 عاما، أمّا هاجر فقد أنجب منها إسماعيل عليه السلام، أمّا قطورة فقد أنجبت له ستة من الأبناء وهم زمران، ويقشان، ومدان، ومديان، وشوحا، ويشباق، زوجته هاجر المصريه هي جارية زوجته سارة، وأمّ ابنه الأكبر إسماعيل عليه السلام، ورزق بسيدنا إسحق عندما بلغ من العمر مائة عام حسب ما ذكر في بعض الروايات، سيدنا يعقوب هو حفيده، ويعتبر إبراهيم وإسحق ويعقوب آباء بني إسرائيل، فهم الثلاثة يشكلون الأهميّة ذاتها في التوراة، يعتبر سيدنا إبراهيم مؤسس الحنيفيّة، وبدأ دعوته بدعوة أبيه لترك عبادة الأصنام، ولما لم يستجب له تركه ابراهيم لعله يترك ما يعبد، حيث كان قوم إبراهيم يعبدون بالإضافة للأصنام الكواكب، وعند عدم استجابة قومه له بعما بيّن لهم بأن الأصنام لا تضر ولا تنفع، قام بتحطيمها في يوم عيدهم، ويذكر في القرآن بأنه قام بترك كبير الأصنام دون تحطيم، فأمر الملك بجلب إبراهيم وحدثت بينهما مناظرة، وعند سؤال الملك – يعتقد بأنه الملك النمرود – قام حينها إبراهيم بالإشارة إلى الصنم الذي لم يحطمه وقال للقوم :اسألوا كبيرهم عن الفاعل، حينها أمر كبار القوم بإحراق إبراهيم عقابا له، غير أنّ العناية الإلهية جعلت إبراهيم يخرج من النار دون أن يمسسه أذى.

تشير كتب العهد القديم بأنّ إبراهيم قد قام بالهجرة إلى أرض كنعان طاعة لأوامر الربّ بعد أن رفض قومه في أور الاستجابة لدعوته، واصطحب معه في رحلته تلك أسرته وسيدنا لوط بعد وفاة أخيه هاران والد لوط وأقاموا في شكيم – مدينة نابلس حاليا – لفترة قصيرة وانتقل منها إلى بيت إيل ومن ثمّ إلى النقب، ومن ثمّ توجه إلى مصر بعد حدوث المجاعة، ومن مصر قفل عائدا إلى فلسطين وتحديدا إلى جنوب فلسطين، وتفرق إبراهيم عن لوط عليه السلام في بيت إيل بسبب قلة المراعي والأملاك الكثيرة، وأخذ إبراهيم بالتنقل بين المدن الفلسطينيّة، تختلف الروايات في الفترة التي عاشها إبراهيم عليه السلام، وأقل تلك الروايات تقول بأنه عاش 175 عاما، وقد توفي في حبرون – مدينة الخليل الفلسطينيّة حاليا – ودفن في مغارة المكفيلة في المدينة، حيث قام هو بشراء المغارة عفرون بن صوحر، لتكون قبرا له ولأسرته بعد وفاته، وتعني كلمة (مكفيلة) مزدوجة، حيث كانت المغارة التي قام بشرائها تتكون من قسمين وكانت تقع في طرف حقل يستخدم في الزرع، كما دفنت في المغارة زوجته سارة وابنه إسحق وزوجته رفقة، وحفيده يعقوب وزوجته ليا، تجدر الإشارة إلى أنّ معظم المعلومات المذكورة في المقال مما ورد في كتب اليهود والنصارى المحرّفة، حيث لم يذكر في القرآن الكريم إلا قصة إبراهيم مع والده وقصته مع الأصنام وبعض القصص الأخرى مما فيه العبرة والفائدة.

الهجرة إلى الحبشة

لما اشتد البلاء بالمؤمنين في مكة المكرمة ، أذن الله تعالى لهم بالهجرة الأولى غلى ارض الحبشة ، و كان اول من هاجر إليها عثمان بن عفان رضي الله عنه و معه زوجته رقية بنت الرسول صلى الله عليه و سلم كان في هذه الهجرة الذي عشر رجلا و اربع نسوة و هم: عثمان و امرأته و ابو حذيفة و امرأته سهلة بنت سهيل و ابو سلمة و امرأته أم سلمة هند بنت ابي امية و الزبير بن العوام و مصعب بن عميؤ و عبد الرحمن بن عوف و عثمان بن مظعون و عامر بن ربيع و امرأته ليلى بنت ابي رهم و حاطب بن عمرو و سهيل بن وهب و عبدالله بن مسعود خرج المهاجرون متسللين سرا فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجارة فحملوهم فيهما إلى أرض الحبشة و كان مخرجهم ذلك في رجب في السنة الخامسة من البعثة خرجت قريش في آثارهم إلى أن جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحدا ثم بلغهم ان قريشا قد كفوا عن النبي عليه الصلاة و السلام فرجعوا . فلما كانوا دون مكة المكرمة بساعة من نهار ، بلغهم أن قريشا اشد ما كانوا عداوة لرسول الله عليه الصلاة و السلام . فدخل من دخل منهم بجوار